ذِكْر مولد رسول الله ﷺ

قال قيس بن مخرمة وقَبَاث[1] بن أَشْيَم، وابن عبّاس، وابن إسحاق: إنّ رسول الله، ﷺ، وُلد عام الفيل[2].

قال ابن الكلبيّ: وُلد عبد الله بن عبد المطّلب أبو رسول الله، ﷺ، لأربع وعشرين سنة مضت من سلطان كسرى أنوشِروان، ووُلد رسول الله، ﷺ، سنة اثنتين وأربعين من سلطانه[3]، وأرسله الله تعالى لِمُضّي اثنتين وعشرين سنة من ملك كسرى أَبَرْوِيز بن كسرى هُرْمُز بن كسرى أنوشِروان، فهاجر لاثنتين وثلاثين سنة مضت من ملك أَبَرْوِيز.

قال ابن إسحاق: وُلد رسول الله، ﷺ، يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة مضت من ربيع الأوّل، وكان مولده بالدار التي تُعرف بدار ابن يوسف.

قيل: إنّ رسول الله، ﷺ، وهبها عَقِيل بن أبي طالب، فلم تزل في يده حتى تُوُفّي، فباعها ولده من محمّد بن يوسف أخي الحجّاج، فبنى داره التي يقال لها دار ابن يوسف، وأدخل ذلك البيت في الدار حتى[4] أخرجته الخَيْزُران، فجعلته مسجداً يُصلّى فيه[5].

وقيل: وُلد لعشر خَلَوْن منه[6].

وقيل: لليلتين خَلَتا منه.

---

(1) في النسخة (ب): «غياث»، وفي طبعة صادر ٤٥٨/١ «قثاث». وهذا وهم. والصحيح ما أثبتناه، وهو بفتح القاف.

(2) سيرة ابن هشام ١٨١/١، تاريخ الطبري ١٥٥/٢، الطبقات الكبرى لابن سعد ١٠١/١، المستدرك على الصحيحين ٦٠٣/٢، مروج الذهب ٢٧٤/٢، التنبيه والإشراف ١٩٦، تاريخ سنيّ ملوك الأرض ١١٩، نهاية الأرب ٦٧/١٦، عيون الأثر لابن سيّد الناس ٢٦/١، شرح المواهب اللدنيّة للزرقاني ١٣٠/١، تاريخ الإسلام (السيرة النبوية) بتحقيقنا ٢٢، تاريخ خليفة ٥٣.

(3) تاريخ الطبري ١٥٥/٢.

(4) في النسخة (ر): «حين».

(5) الطبري ١٥٦/٢.

(6) تاريخ الإسلام للذهبي ـ السيرة النبوية (بتحقيقنا) ٢٧.

قال ابن إسحاق: إنّ آمنة ابنة وهب أمّ رسول الله، ﷺ، كانت تحدّث أنّها أُتيتْ في منامها لما حملت برسول الله، ﷺ، فقيل لها: إنّك حملتِ بسيّد هذه الأمّة فإذا وقع بالأرض قولي أُعيذه بالواحد، من شرّ كلّ حاسد، ثمّ سمّيه محمّداً. ورأت حين حملت به أنّه خرج منها نورٌ رأت به قصور بُصرى من أرض الشام(١).

فلمّا وضعته أرسلت إلى جدّه عبد المطّلب: إنّه قد وُلد لك غلام فأتِه فانظر إليه؛ فنظر إليه، وحدّثْته بما رأت حين حملت به، وما قيل لها فيه، وما أُمرت أن تسمّيه(٢).

وقال عثمان بن أبي العاص: حدّثتني أمّي أنّها شهدت ولادة آمنة ابنة وهْب رسول الله، ﷺ، فما شيء(٣) أنظر إليه من البيت إلا نَوَّرَ(٤)، وإنّي لأنظر [إلى] النجوم تدنو حتى إنّي لأقول لتقعنّ عليّ(٥).

وأوّل من أرضع رسول الله، ﷺ، ثُوَيْبة مولاة أبي لهب، بلبن ابنٍ له يقال له مسروح(٦)، وكانت قد أرضعت قبله حمزة بن عبد المطّلب، وأرضعت بعده أبا سَلَمَة بن عبد الأسد المخزوميّ(٧). فكانت ثُوَيْبة تأتي رسول الله، ﷺ، بمكّة قبل أن يهاجر، فيُكرمها وتُكرمها خديجة، فأرسلت إلى أبي لهب أن يبيعها إيّاها لتعتقها، فأبَى، فلمّا هاجر رسول الله، ﷺ، إلى المدينة أعتقها أبو لهب، فكان رسول الله، ﷺ، يبعث إليها بالصِّلة، إلى أن بلغه خبر وفاتها منصَرَفَه من خيبر، فسأل عن ابنها مسروح(٨)، فقيل: توفّي قبلها، فسأل: هل لها من قرابة؟ فقيل: لم يبقَ لها أحد(٩).

ثمّ أرضعت رسول الله، ﷺ، بعد ثويبة حليمةُ بنتُ أبي ذُؤَيْب، واسمه عبد الله بن الحارث بن شِجنة من بني سعد بن بكر بن هوازن، واسم زوجها الذي أرضعته بلبنه الحارث بن عبد العُزّى، واسم إخوته من الرضاعة عبد الله، وأُنيْسة، وجُذامة، وهي الشَّيْماء، عُرفت بذلك، وكانت الشَّيْماء تحضنه مع أمّها حليمة(١٠).

---

(١) سيرة ابن هشام ١/١٨٠، تاريخ الطبري ٢/١٥٦.
(٢) السيرة ١/١٨١، الطبري ٢/١٥٦.
(٣) في الطبعة الأوربية «فماشيت»، وفي طبعة صادر ١/٤٥٩ «شيء أن». وما أثبتناه عن الطبري.
(٤) في الطبعة الأوربية «الاثور».
(٥) الطبري ٢/١٥٧.
(٦) في الطبعة الأوربية «مسروج».
(٧) تاريخ الطبري ٢/١٥٨، الطبقات الكبرى ١/١٠٨، نهاية الأرب ١٦/٨٠.
(٨) في الطبعة الأوربية «مسروج».
(٩) الطبقات الكبرى ١/١٠٩.
(١٠) الطبقات الكبرى ١/١١٠، تاريخ الإسلام (السيرة) ٤٥، نهاية الأرب ١٦/٨٣، سيرة ابن هشام ١/١٨٣، وفيه «خذامة».

وقدِمت حليمة على رسول الله، ﷺ، بعد أن تزوّج خديجة، فأكرمها ووصلها، وتُوُفّيت قبل فتح رسول الله، ﷺ، مكّة، [فلمّا فتح مكّة] قدِمت عليه أختٌ لها، فسألها عنها، فأخبرته بموتها، فذرفت عيناه، فسألها عمّن خلّفت، فأخبرته، فسألته نِحلةً وحاجةً فَوَصَلها.

وقال عبد الله بن جعفر بن أبي طالب: كانت حليمة السعديّة تحدّث أنّها خرجت من بلدها مع نسوة يلتمسن الرُّضعاء، وذلك في سنة شهباء[1] لم تُبقِ شيئاً. قالت: فخرجت على أتانٍ لنا قَمْرَاء، معنا شارفٌ[2] لنا، والله ما تَبِضّ[3] بقطرة، وما ننام ليلتنا أجمع من صبيّنا الذي معي من بكائه من الجوع، وما في ثَدْيَيّ ما يُغنيه، وما في شارفنا ما يغذوه، ولكنّا نرجو الغيث والفرج، فلقد أذمّتْ[4] أتاني بالرَّكْب حتى شقّ عليهم ضعفاً وعَجَفاً، حتى قدِمنا مكّة، فما منّا امرأة إلّا وقد عُرض عليها رسول الله، ﷺ، فتأباه إذا قيل لها إنّه يتيم، وذلك أنّا إنّما نرجو المعروف من أبي الصبيّ. فكنّا نقول: يتيم فما عسى أن تصنع أمّه وجدّه! فما بقيت امرأة معي إلّا أخذتْ رضيعاً غيري، فلمّا أجمعنا الانطلاقَ[5] قلتُ لصاحبي، وكان معي: إنّي لأكره أن أرجع من بين صواحبي[6] ولم آخذْ رضيعاً، والله لأذهبنّ إلى ذلك اليتيم فلآخذنّه! قال: افعلي، فعسى أنّ الله يجعل لنا فيه بركة. قالت: فذهبتُ فأخذتُهُ، فلمّا أخذتُه ووضعتُه في حجْري، أقبل عليه ثدياي ممّا شاء من لبن، فشرب حتى روي، وشرب معه أخوه حتى روي ثمّ ناما، وما كان ابني ينام قبل ذلك، وقام زوجي إلى شارفنا تلك فإذا إنّها حافل، فحلب منها، ثمّ شرب حتى روِي، ثمّ سقاني فشربتُ حتى شبعنا.

قالت: يقول لي صاحبي: تعلمين والله يا حليمة لقد أخذتِ نسمةً مباركة! قلت: والله لأرجو ذلك. قالت: ثمّ خرجنا، فركبتُ أتاني وحملته عليها، فلم يلحقني شيء من حُمُرهم حتّى إنّ صواحبي[7] لَيَقُلْن لي: يا ابنة أبي ذُؤَيْب اربَعي[8] علينا، أليست هذه أتانك التي كنتِ خرجتِ عليها؟ فأقول: بلى والله لهي هي، فيقلن: إنّ لها شأناً، ثمّ

---

(١) سنة شهباء: أي سنة قحط وجدب.

(٢) الشارف: الناقة المسنّة.

(٣) تبضّ: ترشح.

(٤) في الطبعة الأوربية «أدمت». وأَذَمَّت: أي جاءت بما يُذَمّ عليه.

(٥) في النسخة (ر): «للانطلاق».

(٦) في الأصل، والطبري ٢/١٥٩ «صواحباتي».

(٧) في الأصل «صواحباتي».

(٨) اربَعي: أقيمي وانتظري.

قدِمنا منازِلَنا من بني سعد، وما أعلم أرضاً من أرض الله أجدب منها، فكانت غنمي تروح عليّ حين قدِمنا شباعاً لُبّناً، فنحلب ونشرب، وما يحلب إنسان قطرة، ولا يجدها في ضرع، حتى إنْ كان الحاضر من قومنا ليقولون لرُعيانهم: ويلكم اسرحوا حيث يسرح راعي ابنة أبي ذُؤَيْب! فتروح أغنامُهم جياعاً ما تبضّ بقطرة من لبن، وتروح غنمي شباعاً لُبّناً.

فلم نزل نتعرّف البركةَ من الله والزيادة في الخير حتى مضت سنتان وفصلتُهُ، وكان يشبّ شباباً لا يشبُّه الغلمان، فلم يبلغ سنتَيْه حتى كان غلاماً جَفْراً[1]، فقدِمْنا به على أمّه ونحن أحرص شيء على مكثه عندنا، لِما كنّا نرى من بركته، فكلّمنا أمَّه في ترْكه عندنا، فأجابت.

قالت: فرجعنا به، فوالله إنّه بعد مقدمنا به بأشهر [مرّ] مع أخيه في بَهْم[2] لنا خلف بيوتنا، إذ أتانا أخوه يشتدّ، فقال لي ولأبيه: ذلك أخي القرشيّ قد جاءه رجلان عليهما ثياب بيض فأضجعاه وشقّا بطنه وهما يسوطانه! قالت: فخرجنا نشتدّ، فوجدناه قائماً منتقعاً وجهه. قالت: فالتزمتُه أنا وأبوه وقلنا له: ما لك يا بُنيّ؟ قال: جاءني رجلان فأضجعاني فشقّا بطني، فالتمسا به شيئاً لا أدري ما هو. قالت: فرجعنا إلى خبائنا، وقال لي أبوه: والله لقد خشيتُ أن يكون هذا الغلام قد أُصيب، فألحِقيه بأهله قبل أن يظهر لك.

قالت: فاحتملناه فقدِمنا به على أمّه. فقالت: ما أقدمك يا ظئر به، وقد كنتِ حريصة على مكثه عندك؟ قالت: قلتُ: قد بلغ الله بابني، وقضيتُ الذي عليّ، وتخوّفتُ عليه الأحداث، فأدّيته إليكِ كما تحبّين. قالت: ما هذا بشأنكِ فاصدقيني! ولم تدعني حتى أخبرتها. قالت: فتخوّفتِ عليه الشيطان؟ قلتُ: نعم. قالت: كلّا والله ما للشيطان عليه سبيل، وإنّ لابني لَشأناً، أفلا أُخبرك؟ قلتُ: بلى. قالت: رأيتُ حين حملتُ به أنّه خرج منّي نور أضاء لي قصور بُصْرَى من الشام، ثمّ حملتُ به فوالله ما رأيتُ من حمل قطّ كان أخفّ منه ولا أيسر، ثمّ وقع حين وضعته، وإنّه لواضع يديه بالأرض، رافع رأسه إلى السماء. دعيه عنك وانطلقي راشدة[3].

وكانت مدّة رضاع رسول الله، ﷺ، سنتَين[4]، وردّته حليمة إلى أمّه وجدّه

---

(١) الجفر: الشديد.

(٢) البَهْم: الصغار من الغنم. وفي النسخة (ر): «غنم» بدل «بهم».

(٣) الخبر بطوله في سيرة ابن هشام ١/١٨٤ ـ ١٨٨، تاريخ الطبري ٢/١٥٨ ـ ١٦٠، الطبقات الكبرى ١/١١١، نهاية الأرب ١٦/٨١ ـ ٨٤، سيرة ابن كثير ١/٢٢٥ ـ ٢٢٨، تاريخ الإسلام (السيرة) ٤٦، ٤٧، عيون الأثر ١/٣٣، ٣٤، شرح المواهب اللدنيّة ١/١٤١ ـ ١٥٠.

(٤) وقيل أقام مع حليمة في بني سعد نحو أربع سنين. (نهاية الأرب ١٦/٨٣، ٨٤، تاريخ الإسلام ٤٥).

عبد المطّلب وهو ابن خمس سنين في قول.

وقال شدّاد بن أوس: بينما نحن عند رسول الله، ﷺ، إذ أقبل شيخ من بني عامر، وهو ملك[1] قومه وسيّدهم شيخ كبير، متوكّئاً على عصاً، فمثل قائماً وقال: يا ابن عبد المطّلب إنّي أُنبئتُ أنّك تزعم أنك رسول الله، ﷺ، أرسلك بما أرسل به إبراهيم وموسى وعيسى وغيرهم من الأنبياء، ألا وإنّك فُهتَ بعظيم، ألا وقد كانت الأنبياء من بني إسرائيل وأنت ممّن يعبد هذه الحجارة والأوثان، وما لك وللنبوّة، وإنّ لكلّ قول حقيقة، فما حقيقة قولك وبدء شأنك؟.

فأعجب النبيّ، ﷺ، بمساءلته، ثمّ قال: يا أخي بني عامر اجلس. فجلس، فقال له النبيّ، ﷺ: إنّ حقيقة قولي وبدء شأني أنّي دعوةُ أبي إبراهيم وبُشْرَى أخي عيسى، وكنتُ بِكْر أمّي[2]، وحملتْني كأثقل ما تحمل النساء[3]، ثمّ رأت في منامها أنّ الذي في بطنها نور، [قالت]: فجعلتُ أُتبع بصري النورَ وهو يسبق بصري، حتّى أضاءت لي مشارق الأرض ومغاربها؛ ثمّ إنّها ولدتني فنشأتُ، فلمّا نشأتُ بُغِّضَتْ إليّ الأوثان والشعر، فكنتُ مسترضعاً في بني سعد بن بكر، فبينا أنا ذات يوم منتبذاً من أهلي مع أتراب من الصبيان، إذ أتانا ثلاثة رهط، معهم طَسْتٌ من ذهب مملوء ثلجاً، فأخذوني من بين أصحابي، فخرج أصحابي هُرّاباً حتى انتهوا إلى شفير الوادي، ثمّ أقبلوا على الرهط فقالوا: ما أربكم إلى هذا الغلام، فإنّه ليس له أب، وما يردُّ عليكم قتلُه؟ فلمّا رأى الصبيان الرهط لا يردّون جواباً انطلقوا مسرعين إلى الحيّ يؤذنونهم بي ويستصرخونهم على القوم، فعمد أحدهم فأضجعني على الأرض إضجاعاً لطيفاً، ثمّ شقّ ما بين مفرق صدري إلى منتهَى عانتي، فأنا أنظر إليه لم أجد لذلك مسّاً، ثمّ أخرج أحشاء بطني فغسلها بالثلج فأنعم غسلها ثم أخرجِ قلبي فصدعه، ثمّ أخرج منه مضغة سوداء فرمى بها، قال بيده يمنة منه كأنّه يتناول شيئاً، فإذا [أنا] بخاتم في يده من نور يحار الناظرون دونه، فختم به قلبي، فامتلأ نوراً، وذلك نور النبوّة والحكمة، ثمّ أعاده مكانه، فوجدتُ برد ذلك الخاتم في قلبي دهراً، ثمّ قال الثالث لصاحبه: تنحّ. فتنحّى عنّي، فأمرّ يده ما بين مفرق صدري إلى منتهَى عانتي، فالتأم ذلك الشقّ بإذن الله تعالى، ثمّ أخذ بيدي فأنهضني إنهاضاً لطيفاً، ثمّ قال للأوّل الذي شقّ بطني: زِنْه بعشرة من أمّته. فوزنوني بهم فرجحتُهم، ثمّ قال: زِنْه بمائة من أمّته. فوزنوني بهم فرجحتُهم. ثمّ قال: زِنْه بألفٍ من

(١) في تاريخ الطبري ٢/ ١٦٠ «مِدْرَه».
(٢) في النسخة (ر): «بكر أبي وأمي».
(٣) في الطبعة الأوربية: «وحملتني كما حمل ما يثقل النساء».

أمّته. فوزنوني بهم فرجحتُهم. فقال: دعوه فلو وزنتُه بأمّته كلّهم لرجح بهم. ثمّ ضمّوني إلى صدورهم وقبّلوا رأسي وما بين عينيّ، ثمّ قالوا: يا حبيب، لم تُرَعْ؛ إنّك لو تدري ما يراد بك من الخير لَقَرَّتْ عينك.

قال: فبينا نحن كذلك إذ أنّا بالحيّ قد جاؤوا بحذافيرهم، وإذا ظِئْري أمام الحيّ تهتف بأعلى صوتها وهي تقول: يا ضعيفاه! قال: فانكبّوا عليّ وقبّلوا[1] رأسي وما بين عينيّ وقالوا: حبّذا أنت من ضعيف!.

ثمّ قالت ظِئْري: يا وحيداه! فانكبّوا عليّ فضمّوني إلى صدورهم، وقبّلوا ما بين عينيّ وقالوا: حبّذا أنت من وحيد وما أنت بوحيد! إنّ الله معك!.

ثمّ قالت ظِئْري: يا يتيماه استُضعفت من بين أصحابك فقُتلت لضعفك[2]! فانكبّوا عليّ وضمّوني إلى صدورهم وقبّلوا ما بين عينيّ وقالوا: حبّذا أنت من يتيم! ما أكرمك على الله! لو تعلم ما يراد بك من الخير! قال: فوصلوا بي إلى شفير الوادي. فلمّا بصُرت بي ظِئْري قالت: يا بُنيّ ألا أراك حيّاً بعد! فجاءت حتى انكبّت عليّ وضمّتني إلى صدرها، فوالذي نفسي بيده إنّي لفي حجْرها وقد ضمّتني إليها، وإنّ يدي في يد بعضهم، فجعلت ألتفت إليهم، وظننتُ أنّ القوم يبصرونهم، يقول بعض القوم: إنّ هذا الغلام أصابه لَممٌ أو طائف من الجنّ، انطلقوا به إلى كاهننا حتى ينظر إليه ويداويه. فقلت: ما هذا! ليس بي شيء ممّا يُذكر، إنّ إرادتي سليمة، وفؤادي صحيح ليس فيَّ قَلَبَةٌ[3]. فقال أبي من الرضاع: ألا ترون كلامه صحيحاً؟ إنّي لأرجو أن لا يكون بابني بأس. فاتّفقوا على أن يذهبوا بي إلى الكاهن، فذهبوا بي إليه، فلمّا قصّوا عليه قصّتي قال: اسكتوا حتى أسمع من الغلام فإنّه أعلم بأمره منكم. فقصصتُ عليه أمري من أوّله إلى آخره، فلمّا سمع قولي وثب إليّ وضمّني إلى صدره، ثمّ نادى بأعلى صوته: يا للعرب اقتلوا هذا الغلام واقتلوني معه! فَوَاللاّتِ والعُزّى لئن تركتموه فأدرك لَيُبَدِّلَنَّ[4] دينَكم ولَيُخالفنّ أمركم وليأتينّكم بدِينٍ لم تسمعوا بمثله قطّ.

فانتزعتْني ظِئْري منه وقالت: لأنت أجنّ وأعْتَه من ابني هذا، فاطلب لنفسك من يقتلك، فإنّا غير قاتليه!.

---

(١) في النسخة (ر): «علي يعني الرهط وقبلوا».

(٢) في الطبعة الأوربية «من بين أصحابه فقبلت لضعفك».

(٣) القَلَبَة: الداء الذي يتقلّب منه صاحبه على فراشه. وأصله من القُلاب، وهو داء يأخذ الإبل في رؤوسها فيقلبها إلى فوق.

(٤) في الطبعة الأوربية «ليذلّنّ».

ثمّ ردّوني إلى أهلي، فأصبحتُ مُفْزَعاً ممّا فُعل بي وأثر الشقّ ممّا بين صدري إلى عانتي، كأنّه الشراك، فذلك حقيقة قولي وبدء شأني يا أخا بني عامر.

فقال العامريّ: أشهد بالله الذي لا إله إلاّ هو أنّ أمرك حقّ. فأنبئْني بأشياء أسألك عنها.

قال: سلْ.

قال: أخبِرْني ما يزيد في العلم؟.

قال: التعلّم.

قال: فما يدلّ على العلم؟.

قال النبيّ، ﷺ: السؤآل.

قال: فأخبِرْني ماذا يزيد في الشيء؟.

قال: التمادي.

قال: فأخبرني هل ينفع البرّ مع الفجور؟

قال: نعم، التوبةُ تغسل الحَوبةَ، والحسناتُ يُذهبن السيّئات، وإذا ذكر العبدُ الله عند الرّجاء أعانه عند البلاء.

فقال العامريّ: فكيف ذلك؟.

قال: ذلك بأنّ الله، عزّ وجلّ، يقول: وعزّتي وجلالي لا أجمع لعبدي أمنَين، ولا أجمع له خوفَين، إن خافني في الدنيا أمّنته يومَ أجمع عبادي في حظيرة القدس، فيدوم له أمنه ولا أمحقه فيمن أمحق، وإنْ هو أمنني في الدنيا خافني يومَ أجمع عبادي لميقات يوم معلوم، فيدوم له خوفه.

قال: يا ابن عبد المطّلب أخْبِرني إلامَ تدعو؟ .

قال: أدعو إلى عبادة الله وحده لا شريك له، وأن تخلع الأنداد وتكفر باللاّتِ والعُزّى، وتقرّ بما جاء من عند الله من كتاب ورسول، وتصلّي الصلوات الخمس بحقائقهنّ، وتصوم شهراً من السنة، وتؤدّي زكاة مالك يطهّرك الله تعالى بها، ويطيّب لك مالك، وتحجّ البيت إذا وجدتَ إليه سبيلاً، وتغتسل من الجنابة، وتؤمن بالموت والبعث بعد الموت، وبالجنّة والنّار.

قال: يا ابن عبد المطّلب فإذا فعلتُ ذلك فما لي؟.

فقال النبيّ، ﷺ: **﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا، وَذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكّى﴾**[1].

فقال: هل مع هذا من الدنيا شيء؟ فإنّه يعجبني الوطأة من العيش.

---

(١) سورة طه/٧٦.

قال النبيّ، ﷺ: نعم النصر والتمكين في البلاد. فأجاب وأناب[1].

قال ابن إسحاق: هلك عبد الله بن عبد المطّلب أبو رسول الله، ﷺ، وأمّ رسول الله، ﷺ، آمنةُ بنت وهب بن عبد مَناف بن زُهْرة حامل به[2].

قال هشام بن محمّد: توفّي عبد الله أبو رسول الله بعدما أتى على رسول الله ثمانية وعشرون يوماً[3].

وقال الواقديّ: الثَّبَتُ[4] عندنا أنّ عبد الله بن عبد المطّلب أقبل من الشام في عِير لقريش، ونزل بالمدينة وهو مريض، فأقام [بها] حتى تُوفّي ودُفن بدار النابغة[5]. [في الدار] الصُّغرى[6].

قال ابن إسحاق: وتوفّيت أمّه آمنة وله ستّ سنين بالأبواء، بين مكّة والمدينة، كانت قدِمَت به المدينةَ على أخواله من بني النجّار تُزيره إيّاهم، فماتت وهي راجعة[7].

وقيل: إنّها أتت المدينة تزور قبر زوجها عبد الله، ومعها رسول الله، وأمّ أيمن حاضنة رسول الله، فلمّا عادت ماتت بالأبواء.

وقيل: إنّ عبد المطّلب زار أخواله من بني النجّار وحمل معه آمنة ورسول الله، فلمّا رجع تُوُفّيت بمكّة، ودُفنت في شِعْب أبي ذَرّ[8]؛ والأوّل أصحّ.

ولما سارت قريش إلى أُحُد همّوا باستخراجها من قبرها، فقال بعضهم: إنّ النساء عورة وربّما أصاب محمّد من نسائكم، فكفّهم الله بهذا القول إكراماً لأمّ النبيّ، ﷺ.

قال ابن إسحاق: وتُوُفّي عبد المطّلب ورسول الله، ﷺ، ابن ثماني سنين[9].

وقيل: ابن عشر سنين[10].

---

(١) الخبر بطوله في تاريخ الطبري ٢/١٦٠ - ١٦٥.
(٢) الطبري ٢/١٦٥.
(٣) في النسخة (ب): «سنة».
(٤) في الطبعة الأوربية «أثبت».
(٥) الطبقات الكبرى ١/٩٩، تاريخ الطبري ٢/١٦٥، عيون الأثر ١/٢٦، تاريخ الإسلام (السيرة) ٥٠.
(٦) في الطبعة الأوربية «الصفري».
(٧) الطبقات الكبرى ١/١١٦، تهذيب تاريخ دمشق ١/٢٨٣، نهاية الأرب ١٦/٨٧، تاريخ الإسلام (السيرة) ٥٠، سيرة ابن هشام ١/١٩٤، تاريخ الطبري ٢/١٦٥، ١٦٦.
(٨) الطبري ٢/١٦٦.
(٩) الطبري ٢/١٦٦، سيرة ابن هشام ١/١٩٥.
(١٠) الطبري ٢/١٦٦.

ولما مات عبدُ المطّلب صار رسول الله، ﷺ، في حِجْر عمّه أبي طالب بوصيّة من عبد المطّلب إليه بذلك، لما كان يرى من بِرّه به وشفقته وحُنوّه عليه، فيصبح ولد أبي طالب غُمْصاً رُمْصاً[1]، ويصبح رسول الله صَقيلاً دهيناً[2].

ذِكْر قتْل تميم بالمُشَقَّر[3]

قال هشام: أرسل وَهْرِز بأموال وطُرَف من اليمن إلى كسرى، فلمّا كانت ببلاد تميم دعا صعصعةُ بن ناجية المجاشعيّ، جدّ الفرزدق الشاعر، بني تميم إلى الوثوب عليها، فأبوا، فقال: كأنّي ببني بكر بن وائل قد انتُهبوا، فاستعانوا بها على حربكم، فلمّا سمعوا ذلك وثبوا عليها وأخذوها، وأخذ رجل من بني سَليط يقال له النَّطِف خرْجاً فيه جوهر، فكان يقال: «أصاب [فلان] كنز النَّطِف»، فصار مثلاً.

وصار أصحابُ العير إلى هَوْذَة بن عليّ الحنفيّ باليمامة، فكساهم، وحملهم، وسار معهم حتى دخل على كسرى، فأُعجب به كسرى، ودعا بعِقْدٍ من دُرّ فعُقد على رأسه، فمن ثَمّ سُمّي هَوَذة «ذا التاج»، وسأله كسرى عن تميم هل من قومه أو بينه وبينهم سِلْم، فقال: لا بيننا إلّا الموت. قال: قد أدركتَ ثأرك، وأراد إرسال الجنود إلى تميم، فقيل له: إنّ ماءهم قليل، وبلادهم بلاد سوء، وأشير عليه أن يرسل إلى عامله بالبحرين، وهو ازاد فيروز بن جُشَيْش[4] الذي سمّته العرب المكعبر[5]، وإنّما سُمّي بذلك لأنّه كان يقطع الأيدي والأرجل، فأمره بقتْل بني تميم، ففعل، ووجّه إليه رسولاً، ودعا هَوْذة وجدّد له كرامة وصِلة، وأمره بالمسير مع رسوله، فأقبلا إلى المكعبِر أيّام اللُّقّاط[6]، وكانت تميم تصير إلى هَجَر للميرة واللُقاط، فأمر المكعبِر منادياً ينادي: ليحضر من كان هاهنا من بني تميم، فإنّ الملك قد أمر لهم بميرة وطعام. فحضروا ودخلوا المُشقّر، وهو حصن، فلمّا دخلوا قتل المكعبِر رجالَهم، واستبقى غلمانَهم، وقُتل يومئذ قَعْنَب الرِّياحيّ، وكان فارس يَرْبُوع، وجعل الغلمان في السفن، وعبر بهم إلى فارس.

---

(١) الغمص والرمص: البياض الذي يجتمع في زوايا الأجفان. (النهاية في غريب الحديث لابن الأثير ١٠٣/٢).

(٢) الطبري ١٦٦/٢.

(٣) المُشَقَّر: بضمّ أوله، وفتح ثانيه، بعده قاف مفتوحة مشدَّدة، وراء مهملة، قصر بالبحرين. وقيل: هي مدينة هجر. (معجم ما استعجم ١٢٣٢/٤).

(٤) في الأصل: «خبسس»، وفي النسخة (ب): «خبس». وفي تاريخ الطبري ١٦٩/٢ «آزاذ فيروز بن جُشْنَس».

(٥) في النسخة (ب): «المكشفر»، وفي النسخة (ت): «المكعير».

(٦) اللُقّاط: بالضم. جمع اللقاطة، وهو ما التقط من كرب النخل بعد الصرام.

قال هُبَيْرة بن حُدَيْر العدويّ: رجع إلينا بعدما فُتحت إصْطَخْر عدّة منهم، وشدّ رجل من بني تميم يقال له عُبَيد بن وهْب على سلسلة الباب فقطعها وخرج، واستوهب هَوْذة من المكعبِر مائة أسير منهم، فأطلقهم.

(حُدَيْر: بضمّ الحاء المهملة، وفتح الدال).

ذِكْر ملْك ابنه هُرْمُز بن أنوشِروان(١)

وكانت أمّه ابنة خاقان الأكبر(٢)، وكان هُرْمز بن كسرى أديباً، ذا نيّة في الإحسان إلى الضعفاء والحمل على الأشراف، فعادوه وأبغضوه، وكان في نفسه مثل ذلك، وكان عادلاً، بلغ من عدله أنّه ركب ذات يوم إلى ساباط المدائن فاجتاز بكروم، فاطّلع أُسوار من أَساورته في كرْم، وأخذ منه عناقيد حصرم، فلزِمه حافظُ الكروم وصرخ، فبلغ من خوف الأُسْوار من عقوبة كسرى هُرْمز أن دفع إلى حافظ الكرْم، منطعة محلّاة بذهب، عِوَضاً من الحُصْرم، فتركه(٣).

وقيل: كان مظفَّراً منصوراً، لا يمدّ يده إلى شيء إلّا ناله(٤)، وكان داهياً، رديّ النيّة، قد نزع إلى أخواله التُرك، وإنّه قتل من العلماء وأهلِ البيوتات والشَرَف ثلاثة عشر ألف رجل وستّمائة رجل، ولم يكن له رأي إلّا في تألّف السَّفِلة. وحبس كثيراً من العظماء وأسقطهم وحطّ مراتبهم، وحرم الجنود، ففسد عليه كثير ممّن كان حوله، وخرج عليه شابه(٥) ملك التُرك في ثلاثمائة ألف مقاتل، في سنة إحدى عشرة(٦) من مُلْكه، فوصل هَراة وباذغِيس، وأرسل إلى هرمز والفرس(٧) يأمرهم بإصلاح الطرق، ليجوز إلى بلاد الروم.

---

(١) الأخبار الطوال ٧٤، مروج الذهب ١/ ٢٧٠، التنبيه والإشراف ٨٩، تاريخ سنيّ ملوك الأرض ١٩ و ٢٤ و ٢٩، البدء والتاريخ ٣/١٦٩، تاريخ اليعقوبي ١/ ١٦٥، المعارف ٦٦٤، تاريخ الطبري ٢/١٧٢، نهاية الأرب ١٥/٢١١، تاريخ ابن خلدون ٢/١٧٨.

(٢) في النسخة (ر): زيادة بعدها: «لما مات كسرى أنو شروان كان ملكه ثمانياً وأربعين سنة فملك بعده هرمز».

(٣) الطبري ٢/١٧٣.

(٤) العبارة في الأخبار الطوال ٧٨.

(٥) في الأصل، وبقية النسخ «شايه» بالياء المثنّاة، وكذلك في الطبعتين: الأوربية، وصادر ١/ ٤٧٠ وما أثبتناه من النسخة (ب)، وتاريخ الطبري ٢/١٧٤، وتاريخ اليعقوبي ١/١٦٦ ومروج الذهب ١/ ٢٧١.

(٦) في الأصل، والنسخة (ت) وطبعة صادر ١/ ٤٧٠ والطبعة الأوربية: «ست عشرة»، وما أثبتناه عن النسختين (ب) و(ر)، والطبري ٢/ ١٧٤ والأخبار الطوال ٧٨ وهذا هو الصحيح، لأنّ جميع المصادر تقول إن مدّة ملك هرمز لم تزد على اثنتي عشرة سنة. وهذا ما يؤكّده المؤلّف أيضاً.

(٧) في النسخة (ب): «هرمز إلى الفِرس».

ووصل ملك الروم في ثمانين ألفاً إلى الضواحي، قاصداً له، ووصل ملك الخَزَر إلى الباب والأبواب في جمْع عظيم، فإنّ جمْعاً من العرب شنّوا الغارة على السواد. فأرسل هُرْمُز بهرام خُشنش[1]، ويُعرف بجُوبِين، في اثني عشر ألفاً من المُقاتِلة، اختارهم من عسكره. فسار مُجِدّاً، وواقع شَابه[2] ملك التُرك، فقتله برمية رماها[3]، واستباح عسكره، ثمّ وافاه برموده[4] بن شابه، فهزمه أيضاً، وحصره في بعض الحصون حتى استسلم، فأرسله إلى هُرْمُز أسيراً، وغنم ما في الحصن، فكان عظيماً.

ثمّ خاف بهرامُ ومَنْ معه هُرْمُز، فخلعوه وساروا نحو المدائن، وأظهروا أنّ ابنه أبرويز أصلح للمُلْك منه، وساعدهم على ذلك بعضُ مَنْ كان بحضرة هُرْمز، وكان غرض بهرام أنْ يستوحش هُرْمُز من ابنه أبرويز، ويستوحش ابنه منه فيختلفا[5]، فإنْ ظفر أبرويز بأبيه كان أمره على بهرام سهلاً، وإنْ ظفر أبوه [به] نجا بهرام والكلمة مختلفة، فينال من هُرْمُز غرضَه، وكان يحدّث نفسه بالاستقلال بالمُلك. فلمّا علم أبرويز ذلك خاف أباه، فهرب إلى أَذْرَبَيْجَان، فاجتمع عليه عدّة من المَرازبة والأَصْبَهْبَذِين، ووثب العظماء بالمدائن، وفيهم بِنْدَوَيْه[6] وبِسْطام خالا أبرويز، فخلعوا هُرْمُز وسملوا عينيه، وتركوه تحرّجاً من قتْله، وبلغ أبرويزَ الخبرُ، فأقبل من أَذْرَبَيْجَان إلى دار الملك[7].

وكان مُلْك[8] هُرْمُز إحدى عشرة سنة وتسعة أشهر[9].

وقيل: اثنتي عشرة سنة[10].

ولم يُسْمَل من ملوك الفرس غيره، لا قبله ولا بعده(*).

ومن محاسن السِّيَر ما حُكي عنه أنّه لما فرغ من بناء داره التي تُشرف على دجلة مقابل المدائن، عمل وليمة عظيمة وأحضر الناسَ من الأطراف، فأكلوا، ثمّ قال لهم: هل

---

(١) في تاريخ الطبري ٢/١٧٤ «جُشْنَس».

(٢) في طبعة صادر ١/٤٧٠ «شايه». أنظر تعليقنا حولها قبل قليل.

(٣) في الطبعة الأوربية «رماه».

(٤) في النسخة (ب) «ابن موده».

(٥) في الطبعة الأوربية «فيختلفان».

(٦) في الأصل «بَيدى»، وفي الطبعة الأوربية «بندى» وكذلك في تاريخ الطبري ٢/١٧٥ والمثبت يتفق مع الأخبار الطوال ٨٣.

(٧) الخبر في الطبري ٢/١٧٢ - ١٧٥.

(٨) في الطبعة الأوربية «مملكة».

(٩) الطبري ٢/١٧٦ وفيه زيادة «وعشرة أيام»، وفي تاريخ سنيّ ملوك الأرض ١٩: «إحدى عشرة سنة وسبعة أشهر وسبعة أيام». وانظر البدء والتاريخ ٣/١٦٩.

(١٠) الطبري ٢/١٧٦، التنبيه والإشراف ٨٩، مروج الذهب ١/٢٧٠.

(*) التنبيه والإشراف ٨٩.

رأيتم في هذه الدار عيباً؟ فكلّهم قال: لا عيب فيها. فقام رجل وقال: فيها ثلاثة عيوب فاحشة.

أحدها[1]: أنّ النّاس يجعلون دُورهم في الدنيا، وأنت جعلت الدنيا في دارك، فقد أفرطتَ في توسيع صحونها وبيوتها، فتتمكّن الشمس في الصيف والسَّموم، فيؤذي ذلك أهلَها، ويكثرُ فيها في الشتاء البرد.

والثاني: أنّ الملوك يتوصّلون في البناء على الأنهار، لتزول همومهم وأفكارهم بالنظر إلى المياه، ويترطّب الهواء، وتضيء أبصارهم، وأنتَ قد تركتَ دجلة وبنيتها في القفْر.

والثالث: أنّك جعلتَ حجرة النساء ممّا يلي الشمال من مساكن الرجال، وهو أَدْوَم هُبوباً، فلا يزال الهواء يجيء بأصوات النساء وريح طيبهنّ، وهذا ما تمنعه الغَيْرة والحَمِيّة.

فقال هُرْمُز: أمّا سعة الصحون والمجالس فخير المساكن ما سافر[2] فيه البصر، وشدّة الحرّ والبرد يُدفعان بالخيش[3] والملابس والنيران.

وأمّا مجاورة الماء فكنتُ عند أبي وهو يشرف على دجلة، فغرقت سفينة تحته، فاستغاث مَنْ بها إليه، وأبي يتأسّف عليهم، ويصيح بالسفن التي تحت داره ليلحقوهم، فإلى أن لحِقُوهم غرق جميعهم، فجعلتُ في نفسي أنّني لا أُجاور سلطانا هو أقوى منّي.

وأمّا عمل حجرة النساء في جهة الشمال، فقَصَدْنا به أنّ الشمال أرقّ هواءً وأقلّ وخامة، والنساء يلازمن البيوت، فعُمل لذلك.

وأمّا الغَيرة فإنّ الرجال لا يخلُون بالنساء، وكلّ مَن يدخل هذه الدار إنّما هو مملوك وعبد لقيِّم، وأمّا أنت فما أخرج هذا منك إلاّ بُغْضٌ لي، فأخبِرْني عن سببه.

فقال الرجل: لي قرية ملْك كنتُ أنفق حاصلَها على عيالي، فغلبني المرزُبان فأخذها منّي، فقصدتُك أتظلّم منذ سنين، فلم أصل إليك، فقصدتُ وزيرك وتظلّمتُ إليه، فلم ينصفني، وأنا أؤدّي خراج القرية حتى لا يزول اسمي عنها، وهذا غاية الظلم أن يكون غيري يأخذ دخْلَها، وأنا أؤدّي خراجها.

---

(١) في الطبعة الأوربية «إحداها».

(٢) في النسخة (ب): «سار».

(٣) في النسخة (ب): «بالحس».

فسأل هُرْمُز وزيره فصدَّقه وقال: خفتُ أُعْلِمُك فيؤذيني المرزُبان. فأمر هُرْمُز أن يؤخذ من المرزُبان ضعْف ما أخذ، وأن يستخدمه صاحب القرية في أيّ شُغْل شاء سنتين، وعزل وزيره.

وقال في نفسه: إذا كان الوزير يراقب الظالم، فالأحرى أنّ غيره يراقبه، فأمر باتّخاذ صندوق، وكان يقفله ويختمه بخاتم، ويُترك على باب داره، وفيه خرْقٌ، يُلقى فيه رقاع المتظلّمين، وكان يفتحه كلّ أسبوع ويكشف المظالم، فأفكر وقال: أريد أعرف ظلم الرعيّة ساعةً فساعة، فاتّخذ سلسلة طرْفها في مجلسه في السقف، والطرف الآخر خارج الدار، في رَوْزَنة وفيها جرس، وكان المتظلّم يحرّك السلسلة فيحرّك الجرس فيحضره ويكشف ظلامته.

ذِكْر ملْك كسرى أَبَرْوِيز بن هُرْمُز[1]

وكان من أشدّ ملوكهم بطشاً، وأنفذهم رأياً، وبلغ من البأس والنجدة وجمع الأموال ومساعدة الأقدار ما لم يبلغه ملك قبله، ولذلك لُقِّبَ أبرويز، ومعناه المظفَّر، وكان في حياة أبيه قد سعى به بهرام جوبين[2] إلى أبيه أنّه يريد المُلْك لنفسه، فلمّا علم ذلك سار ألى أَذْرَبَيْجَان سرّاً، وقيل غير ذلك، وقد تقدّم، فلمّا وصلها بايعه[3] مَن كان [بها] من العظماء، واجتمع مَن بالمدائن على خلع أبيه، فلمّا سمع أبرويز بادر الوصولَ إلى المدائن قبل بهرام جوبين، فدخلها قبله، ولبس التاج وجلس على السرير، ثمّ دخل على أبيه، وكان قد سمُل، فأعلمه أنّه بريء ممّا فُعِل به، وإنّما كان هربه للخوف منه، فصدّقه وسأله أن يرسل إليه كلّ يوم مَن يؤنسه، وأن ينتقم ممّن خلعه وسمل عينَيْه، فاعتذر بقرب بهرام منه في العساكر، وأنّه لا يقدر على أن ينتقم ممّن فعل به ذلك، إلّا بعد الظفر ببهرام.

وسار بهرام إلى النهروان، وسار أبرويز إليه، فالتقيا هناك، ورأى أبرويز من أصحابه فتوراً في القتال، فانهزم ودخل على أبيه، وعرّفه الحال فاستشاره، فأشار عليه بقصد موريق ملك الروم، وجهّز ثانياً[4] وسار في عدّة يسيرة، فيهم خالاه[5] بِنْدَوَيْه وبِسْطام، وكردي أخو بهرام، فلمّا خرجوا من المدائن خاف من معه أنّ بهرام يردّ هُرْمُز إلى المُلْك،

---

(١) المعارف ٦٦٥، الأخبار الطوال ٨٤، مروج الذهب ١/٢٧٣، تاريخ سنيّ ملوك الأرض ١٩ و ٢٤ و ٢٩، البدء والتاريخ ٣/١٦٩، التنبيه والإشراف ٨٩، تاريخ اليعقوبي ١/١٦٨، تاريخ الطبري ٢/١٧٦، نهاية الأرب ١٥/٢١٥، تاريخ ابن خلدون ٢/١٧٨.

(٢) في النسخة (ب): «جور».

(٣) في النسخة (ب): «تابعه».

(٤) في النسخة (ب): «خرب ثباه»، وفي النسخة (ت): «فحرساه»، وفي النسخة (ر): «فحرز نساء».

(٥) في النسخة (ب): «سدوم».

ويرسل إلى ملك الروم في ردّهم، فيردّهم إليه، فاستأذنوا أَبَرْوِيز في قتل أبيه هُرمُز، فلم يُحِرْ جواباً، فانصرف بِنْدَوَيْه وبسطام وبعض مَن معهم إلى هُرْمُزْ، فقتلوه خنْقاً، ثمّ رجعوا إلى أَبَرْوِيز، وساروا مجدّين إلى أن جاوزوا الفرات، ودخلوا ديراً يستريحون فيه، فلمّا دخلوا غشِيَتْهم خيلُ بهرام جوبين، ومقدّمها رجل اسمه بهرام بن سِيَاوش، فقال بِنْدَوَيْه لأَبرويز: احتلْ لنفسك.

قال: ما عندي حيلة!.

قال بِنْدَوَيْه: أنا أبذل نَفسي دونك، وطلب منه بزّته فلبسها، وخرج أَبَرْوِيز ومَن معه من الدير وتواروا بالجبل، ووافَى بهرام الدير، فرأى بِنْدَوَيْه فوق الدير عليه بزّة أبرويز فاعتقده هو، وسأله أن يُنظره إلى غد ليصير إليه سلماً، ففعل، ثمّ ظهر من الغد على حيلته، فحمله إلى بهرام جوبين فحبسه. ودخل بهرام جوبين دار الملك وقعد على السرير ولبس التاج، فانصرفت الوجوه عنه، لكنّ النّاس أطاعوه خوفاً، وواطأ بهرام بن سياوش بِنْدَوَيْه على الفتك ببهرام جوبين، فعلم بهرام جوبين بذلك فقتل بهرام، وأفلت بِنْدَوَيْه فلحِق بأَذْرَبَيْجَان.

وسار أَبَرْوِيز إلى أنطاكية، وأرسل أصحابه إلى الملك، فوعده النُّصْرة، وتزوّج أَبَرْوِيز ابنة الملك مَوْريق، واسمها مريم، وجهّز معه العساكر الكثيرة، فبلغت عِدّتهم سبعين ألفاً، فيهم رجل يُعدّ بألف مقاتل، فرتّبهم أَبَرْوِيز وسار بهم إلى أَذْرَبَيْجَان، فوافاه بِنْدَوَيْه وغيره من المقدّمين والأساورة، في أربعين ألف فارس من أصبهان وفارس وخُراسان، وسار إلى المدائن. وخرج بهرام جوبين نحوه، فجرى بينهما حرب شديدة، فقُتل فيها الفارس الروميّ الذي يُعدّ بألف فارس[1].

ثمّ انهزم بهرام جوبين وسار إلى التُرك، وسار أَبَرْوِيز من المعركة، ودخل المدائن، وفرّق الأموال في الروم، فبلغت جملتها عشرين ألف ألف، فأعادهم إلى بلادهم.

وأقام بهرام جوبين عند التُرك مكرّماً، فأرسل أَبَرْوِيز إلى زوجة الملك، وأجزل لها الهديّة من الجواهر وغيرها، وطلب منها قتل بهرام، فوضعت عليه مَنْ قتله، فاشتدّ قتله على ملك التُرك، ثمّ علم أنّ زوجته قتلته فطلّقها. ثمّ إنّ أَبَرْوِيز قتل بِنْدَوَيْه، وأراد قتل بِسطام، فهرب منه إلى طبرستان لحصانتها، فوضع أَبَرْوِيز عليه فقتله.

وأمّا الروم فإنّهم خلعوا ملكهم مَوْرِيق بعد أربع عشرة سنة من مُلك أَبَرْوِيز وقتلوه، وملّكوا عليهم بَطْريقاً اسمه فوقاس[2]، فأباد ذرّيّة مَوْرِيق، سوى ابن له هرب إلى

(١) الخبر في تاريخ الطبري ٢/١٧٦ - ١٨٠ وانظر تاريخ اليعقوبي ١/١٦٧ - ١٦٩.
(٢) في تاريخ الطبري ٢/١٨١ «فُوقا»، وفي الأخبار الطوال ١٠٦ «كَوْكسان».

كسرى أَبَرْوِيز، فأرسل معه العساكر، وتَوَّجَهُ وملّكه على الروم، وجعل على عساكره ثلاثة نفر من قوّاده وأساورته.

أمّا أحدهم فكان يقال له بران[1]، وجّهه في جيش منها إلى الشام، فدخلها حتى انتهى إلى البيت المقدّس، فأخذ خشبة الصليب التي تزعم النصارى أنّ المسيح، عليه السلام، صُلب عليها، فأرسلها إلى كسرى أَبَرْوِيز.

وأمّا القائد الثاني فكان يقال له شاهين، فسيّره في جيش آخر إلى مصر، فافتتحها، وأرسل مفاتيح الإسكندريّة إلى أَبَرْوِيز.

وأمّا القائد الثالث، وهو أعظمهم، فكان يقال له فَرُّخان[2]، وتدعى مرتبته شَهْرَبَراز[3]، وجعل مرجع القائدين الأوّلين إليه.

كانت والدته مُنجبة لا تلد إلاّ نجيباً، فأحضرها أَبَرْوِيز وقال لها: إنّي أريد أن أوجّه جيشاً إلى الروم استعمل عليه بعض بنيك، فأشيري عليّ أيّهم أستعمل.

فقالت: أمّا فلان فأروغ من ثعلب، وأحذر من صقر. وأمّا فَرُّخان فهو أنفذ من سنان. وأمّا شهربراز[3] فهو أحلم من كذا[4].

فقال: قد استعملت الحليم، فولاّه أمر الجيش، فسار إلى الروم فقتلهم، وخرّب مدائنهم وقطع أشجارهم، وسار في بلادهم إلى القسطنطينيّة، حتّى نزل على خليجها القريب منها ينهب ويغير ويخرّب، فلم يخضع لابن مَوْرِيق أحد ولا أطاعه، غير أنّ الروم قتلوا فوقاس[5] لفساده، وملّكوا عليهم بعده هِرَقْل، وهو الذي أخذ المسلمون الشام منه[6].

فلمّا رأى هرقل ما أَهمّ الرومَ من النهب[7] والقتل والبلاء، تضرّع إلى الله تعالى ودعاه، فرأى في منامه رجلاً كثّ اللّحية، رفيع المجلس، عليه بزّة حسنة، فدخل عليهما داخل، فألقى الرجل عن مجلسه وقال لِهِرَقْل: إنّي قد أسلمته في يدك؛ فاستيقظ[8]، فلم

---

(١) في تاريخ الطبري ٢/١٨١ «رُميوزان»، وفي الأخبار الطوال ١٠٦ «بوبوذ».

(٢) في تاريخ الطبري ٢/١٨٢ «فرّهان»، وفي الأخبار الطوال ١٠٦ «شَهْرَيار».

(٣) في النسخة (ب): «شهريزار»، وفي الطبعة الأوربية «شهريراز» والمثبت يتفق مع الطبري ٢/١٨٢، وتاريخ اليعقوبي ١/١٧٢.

(٤) في الطبعة الأوربية «كدى» والمثبت عن الطبري ٢/١٨٥.

(٥) عند الطبري «قوفا».

(٦) الطبري ٢/١٨١، ١٨٢، الأخبار الطوال ١٠٦.

(٧) في الطبعة الأوربية وردت العبارة: «ما همّ الروم فيه من النهب».

(٨) في الطبعة الأوربية «فاستنقض».

يقصّ رؤياه، فرأى في الليلة الثانية ذلك الرجل جالساً في مجلسه، وقد دخل الرجل الثالث وبيده سلسلة، فألقاها في عنق ذلك الرجل، وسلّمه إلى هِرَقْل وقال: قد دفعت[1] إليك كسرى برمّته، فاْغْزُه، فإنّك مدالٌ عليه، وبالغٌ أُمنيتَكَ في أعدائك[2]. فقصّ حينئذٍ هذه الرؤيا على عظماء الروم، فأشاروا عليه أن يغزوه، فاستعدّ هرقل واستخلف ابناً له على القسطنطينيّة، وسلك غير الطريق الذي عليه شهربراز، وسار حتى أوغل في بلاد أرمينية، وقصد الجزيرة، فنزل نَصِيبين، فأرسل إليه كسرى جُنداً، وأمرهم بالمقام بالموصل، وأرسل إلى شهربراز يستحثّه على القدوم، ليتضافروا على قتال هِرَقْل[3].

وقيل في مسيره غير هذا، وهو أنّ شهربراز سار إلى بلاد الروم، فوطيء الشام، حتّى وصل إلى أَذْرِعات، ولقي جيوش الروم بها، فهزمها وظفر بها وسبَى وغنِم، وعظُم شأنه[4].

ثمّ إنّ فَرّخان أخا شَهْربَراز شرب الخمر يوماً وقال: لقد رأيتُ في المنام كأنّي جالس على سرير كسرى، فبلغ الخبر كسرى، فكتب إلى أخيه شَهْربَراز يأمره بقتله، فعاوده وأعلمه شجاعته ونكايته في العدوّ، فعاد كسرى وكتب إليه بقتله، فراجعه، فكتب إليه الثالثة، فلم يفعل، فكتب كسرى بعزل شَهْربَراز وولاية فَرُّخان العسكر، فأطاع شَهْربَراز [فلمّا جلس على سرير الإمارة ألقى أليه القاصد بولايته كتاباً صغيراً من كسرى يأمره بقتل شَهْربَراز] فعزم على قتله، فقال له شهربراز: أمهِلني حتى أكتب وصيّتي، فأمهله، فأحضر درجاً، وأخرج منه كتب كسرى الثلاثة، وأطلعه عليها وقال: أنا راجعت فيك ثلاث[5] مرّات ولم أقتلْك، وأنت تقتلني في مرّة واحدة، فاعتذر أخوه إليه وأعاده إلى الإمارة، واتّفقا على موافقة ملك الروم على كسرى، فأرسل شَهْربَراز إلى هِرَقْل: إنّ لي إليك حاجةً، لا يبلغها البريد ولا تسعُها الصُحف، فالقَني في خمسين روميّاً، فإنّي ألقاك في خمسين فارسيّاً. فأقبل قيصر في جيوشه جميعها ووضع عيونه تأتيه بخبر شَهْربَراز، وخاف أن يكون مكيدة، فأتته عيونُه، فأخبروه أنّه في خمسين فارسيّاً، فحضر عنده في مثلها، واجتمعا وبينهما ترجمان، فقال له: أنا وأخي خرّبنا بلادك وفعلنا ما علمتَ، وقد حسدنَا[6] كسرى وأراد قتْلنا، وقد خلعناه، ونحن نقاتل معك. ففرح هِرَقْل بذلك، واتّفقا

(١) في الطبعة الأوربية «دفعته».
(٢) في النسخة (ر): «أعرابك».
(٣) الخبر في تاريخ الطبري ٢/١٨٢، ١٨٣ ونهاية الأرب ١٥/٢٢٠.
(٤) الطبري ٢/١٨٤ و ١٨٥.
(٥) في الطبعة الأوربية «أربع».
(٦) في النسخة (ب): «خبث».

عليه، وقتلا الترجمان لئلاّ يفشي سرّهما، وسار هِرَقْل في جيشه إلى نَصِيبين[1].

وبلغ كسرى أَبَرْوِيز الخبرُ وأرسل لمحاربة هِرَقْـل قائـداً من قوّاده اسمـه راهزار، في اثني عشر ألفاً، وأمره أن يقيم بِنِينوى من أرض المـوصل على دجلة، يمنـع هِرَقْـل من أن يجوزها، وأقام هو بدَسْكَرة الملك، فأرسل راهزار العيون، فـأخبروه أنّ هِـرَقْل في سبعين ألف مقاتل، فأرسل إلى كسرى يُعرّفه ذلك، وأنّه يعجز عن قتـال هذا الجمْـع الكثير، فلم يعذره وأمره بقتاله، فأطاع وعبّى جُنـده، وسار هِـرَقْل نحـو جنود كسـرى، وقطع دجلة من غير الموضع الذي فيه راهزار، فقصده راهزار ولقِيه، فاقتتلوا، فقُتل راهزار وستّة آلاف من أصحابه، وانهزم الباقون.

وبلغ الخبر أبرويز وهو بدَسْكَرة الملك، فهدّه[2] ذلك، وعـاد إلى المدائن، وتحصّن بها، لعجزه عن محاربة هِرَقْل، وكتب إلى قوّاد الجند الذين انهزمـوا يتهدّدهم بـالعقوبـة، فأحوجهم إلى الخلاف عليه، على ما نذكره إن شاء الله.

وسار هِرَقْل حتى قارب المدائن، ثمّ عاد إلى بلاده.

وكـان سبب عَوْده أنّ كسـرى لما عجـز عن هِرَقْـل أعمل الحيلة، فكتب كتـابـاً إلى شَهْرَبَراز يشكره ويُثني عليه، ويقول له: أحسنتَ في فِعْـل ما أمـرتك بـه من مواصلة ملك الروم وتمكينه من البلاد، والآن فقد أوغـل وأمكن من نفسه، فتجيء أنت من خلفـه، وأنا من بين يديه، ويكون اجتماعنا عليه يوم كذا، فلا يفلت منهم أحد. ثمّ جعـل الكتاب في عكّاز ابنوس، وأحضر راهباً [كان] في دير عند المدائن، وقال له: لي إليك حاجة.

فقال الراهب: الملك أكبر من أن يكون له إليّ حاجة، ولكنّني عبده.

قال: إنّ الروم قد نزلوا قريباً منّا، وقد حفظوا الطُّرُقَ عنّا، وليَ إلى أصحـابي الذين بالشام حاجة، وأنت نصرانيّ، إذا جُزت على الروم لا ينكرونك، وقد كتبتُ كتاباً وهو في هذه العكّازة، فتُوصله إلى شَهْرَبَراز، وأعطاه مـائَتَيْ دينار. فـأخذ الكتـاب وفتحه وقـرأه ثمّ أعاده وسار، فلمّا صار بالعسكر ورأى الروم والرهبـان والنواقيس رقّ قلبـه[3] وقال: أنـا شرّ النّاس إن أهلكتُ النصرانيّة! فأقبل إلى سُرادَق الملك وأنهَى حاله، وأوصل الكتاب إليـه. فقرأه. ثمّ أحضر أصحابه رجلاً قد أخذوه من طريق الشام، قد واطأه كسرى، ومعـه كتاب

---

(١) الخبر في تاريخ الطبـري ٢/١٨٦، وتفسير الـطبري ٢٠/١٣، ١٤ طبعـة بولاق. وانـظر المعرفـة والتاريـخ للفسوي ٣/٣٠١ - ٣٠٤، نهاية الأرب ١٥/٢٢٢، ٢٢٣.

(٢) في النسخة (ب): «فهاله»، والمثبت يتفق مع الطبري ٢/١٨٣.

(٣) في الطبعة الأوربية «عليه»، وفي نهاية الأرب ١٥/٢٢٥ «احترق».

قـد افتعله على لسان شَهْـرَبَراز إلى كسـرى يقول: إنّني مـا زلتُ أُخادع ملكَ الـروم حتى اطمأنّ إليّ، وجاز إلى البلاد كما أمرتني، فيعرّفني الملك في أيّ يـوم يكون لقـاؤه، حتى أهجم أنـا عليه من ورائـه، والملك من بين يديـه، فلا يسلم هـو ولا أصحابـه، وآمره أن يتعمّد طريقاً يؤخذ فيها.

فلمّـا قرأ ملك الـروم الكتاب الثـاني تحقّق الخبر، فعـاد شبه المنهـزم، مبادراً إلى بلاده، ووصل خبر عودة ملك الـروم شَهْرَبَـراز، فأراد أن يستـدرك ما فـرط منه، فعـارض الـروم، فقتل منهم قتـلاً ذريعاً، وكتب إلى كسـرى: إنّني عملتُ الحيلة على الـروم حتى صاروا في العراق، وأنفذ من رؤوسهم شيئاً كثيراً[1].

وفي هـذه الحادثـة أنزل الله تعـالى: ﴿ا لَم غُلِبَتِ الرُّومُ في أدْنَى الأرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْـدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُـونَ﴾[2]؛ يعني بـأدنَى الأرض أذْرِعـات[3]، وهي أدنَى أرض الـروم إلى العرب، وكانت الروم قد هُزمت بها في بعض حروبها.

وكان النبيّ، ﷺ، والمسلمون قد ساءهم ظَفَرُ الفرس أوّلاً بـالروم، لأنّ الـروم أهل كتاب، وفرح الكفّار، لأنّ المجوس أمّيّون مثلهم، فلمّا نـزلت هذه الآيـات راهن أبو بكـر الصـدّيق أُبيّ بن خَلَف على أنّ الظفـر يكون للروم إلى تسـع سنين، والرهن مـائة بعيـر، فغلبـه أبو بكـر، ولم يكن الـرهن ذلـك الـوقت حـرامـاً، فلمّـا ظفـرت الـروم أتى الخبـر رسول الله، ﷺ، يوم الحُدَيْبِيَة[4].

(١) الخبر في نهاية الأرب ١٥/٢٢٤، ٢٢٥.
(٢) الروم/١، ٢.
(٣) أذرِعـات: بالفتـح، ثم السكـون، وكسـر الـراء، وعين مهملة. بلد في أطـراف الشـام يجـاور أرض البلقـاء وعمّان. (معجم البلدان ١/١٣٠).
(٤) الطبري ٢/١٨٤ و١٨٧.